This article has been scanned by iThenticate No plagiarism detected

Volume 3, Issue 2, April 2021
p. 1-11

THE EFFORTS OF IMAM ABD AL-HAMID AL-FARAHI IN THE ARABIC LANGUAGE

<http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.2-3.1>

Fatma AL-NAIMI¹

Abstract:

This research deals with the efforts of Imam Abd al-Hamid al-Farahi al-Hindi in the Arabic language, especially his book *Jamahrat al-Balaghah*, which is the sign of Arabic and interpretation, one of the veterans of the thirteenth and fourteenth centuries AH. Where he was born, may God have mercy on him, in the year 1280 AH in the village of Fariha - from the villages of the Directorate of the greatest hatred in India - and Ibn Khalil was the sign of the East and historian of Islam, Sheikh Shibli Al-Nu'mani - may God bless him with his mercy -. He died in the year 1349 AH, corresponding to 1930 CE.

Al-Farahi called for establishing the art of rhetoric on foundations stemming from the Noble Qur'an and the words of the noble Arabs, so he wrote his book *The Jamahiriya of Rhetoric* in which he broke the basis on which the art of rhetoric is based in Aristoteles, which is the theory of simulation. Al-Farahi believes that the art of Arabic rhetoric was influenced by this theory.

The importance of the research: In this paper, I explain the methodology of Imam al-Farahi in the community of rhetoric, then the influence of the rhetoric of the Ajam on the eloquence of the Arabs, and the concept of the rhetoric of the Arabs according to Imam al-Farahi, Aristotle and the theory of simulation, then the research leads us to an explanation of the impact of poetry and eloquent prose of Imam al-Farahi.

Research objectives: The research aims to: Rapid review of the efforts made in serving the Arabic language in the countries of the Indian subcontinent through the centuries until the era of Imam Farahi. Brief introduction to some Indian scholars who have a great contribution to serving the Arabic language. The comprehensive definition of Imam Al-Farahi, and highlighting his scientific contributions in the field of Arabic language and Quranic studies, whether in Arabic or Urdu.

Research methodology: The research is based on three approaches: inductive, analytical, and deductive. This, in turn, showed us the efforts of Imam Abd al-Hamid al-Farahi in the Arabic language, especially writing *Jamah al-Balagha*.

Received :
08/03/2021

Accepted:
15/03/2021

Published:
01/04/2021

¹ Dr. ,Qatar University, Qatar, fatmasalnaimi@qu.edu.qa, <https://orcid.org/0000-0002-5212-9186>

I concluded at the end of the research that Al-Farahi, with his in-depth study of the Arabic language, its literature and its sciences, had become to have a wonderful linguistic sense and a fine Arabic taste like the play of sincerity, but with all these advantages that were embodied in his personality, another characteristic that overtook all of these advantages was the love of the Holy Quran, which was above all Something and the greatness of these two villages will not be felt except by those who are pure Arab.

Key words: The Efforts, of Imam Abd al-Hamid Al-Farahi, in the Arabic Language.

جهود الإمام عبد الحميد الفراهي في اللغة العربية

فاطمة سعد النعيمي²

الملخص

يتناول هذا البحث جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في اللغة العربية وبخاصة كتابه جمهرة البلاغة فهو علامة العربية والتفسير، أحد مخضرمي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. حيث ولد رحمه الله سنة 1280 هـ في قرية فريها - من قرى مديرية أعظم كره بالهند - وكان ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام، الشيخ شبلي النعماني- تغمد الله برحمته -. وتوفي سنة 1349 هـ الموافق 1930 م.

دعا الفراهي إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثة من القرآن الكريم وكلام العرب الأقياح، ألف كتابه جمهرة البلاغة الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة. ويرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية فجار عن قصد السبيل.

أهمية البحث: ولعل في هذا البحث أبين منهج الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة، ثم تأثير بلاغة العجم على بلاغة العرب، ومفهوم بلاغة العرب عند الإمام الفراهي، وأرسطو ونظرية المحاكاة، ثم يعرج بنا البحث إلى بيان أثر الشعر والنثر البليغ عند الإمام الفراهي. أهداف البحث: يهدف البحث إلى: الاستعراض السريع للجهود المبذولة في خدمة اللغة العربية في بلاد شبه القارة الهندية عبر القرون حتى عصر الإمام الفراهي. التعريف الوجيز ببعض العلماء الهنود الذين لهم إسهام كبير في خدمة اللغة العربية. التعريف الجامع بالإمام الفراهي، وإبراز إسهاماته العلمية في مجال اللغة العربية والدراسات القرآنية سواء أكانت بالعربية أم بالأوردية.

منهج البحث: يعتمد البحث على ثلاثة مناهج: الاستقرائي، والتحليلي، والاستنتاجي؛ وهذا بدوره أبان لنا جهود الإمام عبد الحميد الفراهي في اللغة العربية وخاصة كتابة جمهرة البلاغة.

وقد توصلت في نهاية البحث إن الفراهي بدراسته العميقة للغة العربية وآدابها وعلومها قد صار عنده حس لغوي عجيب وذوق عربي رفيع كالعجب الخالص، ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد غلبت تلك المزايا كلها وهي حب القرآن الكريم الذي كان فوق كل شيء ولن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربياً خالصاً.

الكلمات المفتاحية: جهود، الإمام عبد الحميد الفراهي، في اللغة العربية.

² د. ، جامعة قطر، قطر، fatmasalnaimi@qu.edu.qa

المقدمة:

إن اللغة العربية منزلة عظيمة ومكانة عالية بين اللغات الأخرى، ونظراً لذلك فقد قام العلماء والباحثون بدراسة البلاغة العربية في كل عصر من عصور التاريخ الإسلامي، فبدءاً بسبويه وأبي عبيدة والفراء، ومروراً بثعلب وابن المعتز وقدامة وأبي هلال وابن رشيق والجرجاني، نجد عدداً هائلاً من علماء الإسلام وأدباءه الذين كتبوا في البلاغة العربية وآفوا عدداً لا يحصى من الكتب والرسائل في هذا الفن فنقد الشعر والصناعتين والعمدة ودلائل الإعجاز والمثل السائر ومفتاح العلوم والتلخيص والإيضاح كتب مشهورة في فن البلاغة العربية. ولقد بدؤوا ببلاغة الألفاظ ونظم الكلمات والجمل وركزوا على الأساليب وقسموها في علم المعاني والبيان والبديع وحاولوا وضعها في قوالب الأسلوبية والفلسفة. وكل هذه المحاولات كانت خارج الهند والسند.

ولم يتخلف الهند في هذا المجال فبرزت فيه محاولات عديدة لفهم البلاغة العربية مثل "بحر المعاني" و"بدائع البيان" و"عين المعاني" و"فتح المعاني" و"شرح ميزان البلاغة"، وأما بلاغة القرآن الكريم فقد حظيت بعنايتهم، فنجد من الكتب "إعزاز قرآن" و"وجوه إعجاز القرآن" و"جمهرة البلاغة" و"البلاغة القرآنية" وهذه علاوة على الشروح والحواشي والتلخيصات التي لا عد لها ولا حصر.

وكتاب "جمهرة البلاغة" من مؤلفات الإمام عبد الحميد الفراهي (ت 1932م) الذي انقطع إلى تدبر القرآن وسبر غوره والتفكير في معاني آياته ونظم سوره. وحاول التجديد في كل فن وتدوينه من جديد في ضوء القرآن الكريم فألف الكتب والرسائل في التفسير والحديث والفقه والنحو والفلسفة ومبادئ الدين حتى نجد في مؤلفاته محاولات المقارنة بين أديان العالم وذلك لأنه كان متضللاً من العربية والفارسية والإنجليزية والسريانية والسنسكريتية وغيرها من شتى لغات العالم. وكان باحثاً ومفكراً وشاعراً فانطلق يكتب أكثر من سبعين رسالة في آن واحد وترك إشارات وذكريات عنها إلا أنه لم يوفق إتمامها سوى العدد القليل منها، وهي تفسير بعض سور القرآن وإمعان في أقسام القرآن، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وأسباق النحو وزمزمه دري وغيرها من مؤلفاته ورسائله.

أهمية البحث تتضح في نقاط كثيرة من أهمها:

1. تسليط الضوء على دور علماء الهند في خدمة القرآن الكريم عبر القرون حتى عصر الفراهي، والذي ما زال مختلفاً عن الكثير من الباحثين في هذا المجال.
2. التعريف بسيرة الإمام الفراهي العلمية.
3. إبراز جهود الإمام الفراهي في خدمة القرآن وعلومه.
4. تمييز جهود الإمام الفراهي في اللغة العربية.

أهداف البحث:

1. الاستعراض السريع للجهود المبذولة في اللغة العربية في بلاد شبه القارة الهندية.
2. التعريف الجامع بالإمام الفراهي، وإبراز مساهماته العلمية في مجال اللغوية.

إشكالية البحث:

محاولة لدراسة وقراءة العلوم قام الإمام الفراهي بتأليف رسالة صغيرة للغاية باسم "جمهرة البلاغة" صدرت في حياته وهي بحاجة إلى إعادة النظر فيها وإضافة أخرى فيها، للوصول إلى غاية البلاغة وأهدافها وتأثيرها في المخاطبين.

منهج البحث: اقتضت طبيعة البحث استخدام المناهج الآتية:

1. أولاً: المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع ما في كتاب جمهرة البلاغة نصاً وروحاً.
2. ثانياً: المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل ما في كتاب جمهرة البلاغة وتقسيمها حسب مضمونها.
3. ثالثاً: المنهج الاستنباطي، وذلك من خلال استخراج ما في كتاب جمهرة البلاغة من بلاغة ومعاني ودلالات وتوجيهات.

هيكل البحث:

المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع، وأسئلته، وخطته، ومنهج البحث.
المبحث الأول: التعريف بالإمام الفراهي وكتابه جمهرة.
المبحث الثاني: منهج الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة.
المبحث الثالث: تأثير بلاغة العجم على بلاغة العرب، ومفهوم بلاغة العرب عند الإمام الفراهي.
المبحث الرابع: أرسطو ونظرية المحاكاة والشعر والنثر البليغ عند الإمام الفراهي.
الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الفراهي وكتابه جمهرة.

يعرض هذا المبحث ترجمة للإمام الفراهي وكذلك البلاغة عنده من خلال كتابه جمهرة البلاغة، فهو كتاب فريد من نوعه لم يصل إلى البلاد العربية حتى يكون صورة من صور الدرس البلاغي، وأهم ما تجلّى في الكتاب تقسيم جديد لم تألفه البلاغة العربية في تاريخها الطويل وربط البلاغة بالنقد واتخاذها مقياساً في الأحكام النقدية ووضوح النزعة الأدبية والأسلوب في العرض والتحليل وأبداء الآراء الخاصة في القضايا المختلفة ومن ذلك: نقض نظرية المحاكاة لأرسطو، ونقد عبد القاهر الجرجاني....

المطلب الأول: ترجمة الإمام الفراهي

عبد الحميد الفراهي الهندي (1280 - 1349 هـ)، علامة العربية والتفسير، أحد مخضرمي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. حيث ولد رحمه الله سنة 1280 هـ في قرية فريها - من قرى مديرية أعظم كره بالهند - وكان ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام، الشيخ شبلي النعماني - تغمده الله برحمته - . وتوفي سنة 1349 هـ الموافق 1930 م. ظل هذا العلم العظيم، مجهولاً إلى حد كبير في الأوساط العلمية والثقافية، في العالمين العربي والإسلامي، على الرغم من كتبه ومؤلفاته التي تدل على عبقرية فذة، وعقلية مبدعة، والتي لا بد أن يكون لها أثر بارز في حاضر ومستقبل العلوم العربية والإسلامية.

اشتغل الفراهي منذ بفاعته بطلب العلم، فحفظ القرآن، وقرأ - كدأب أبناء العائلات الشريفة في الهند - اللغة الفارسية وبرع فيها، ثم انصرف إلى طلب العربية، فاستظل بعطف أخيه الشيخ شبلي النعماني - وكان أكبر منه بست سنين - فأخذ منه العلوم العربية كلها من صرفها ونحوها، ولغتها وأدبها، ومنطقها وفلسفتها.

ثم سافر إلى لكو - مدينة العلم في الهند - وجلس في حلقة الفقيه المحدث الإمام الشيخ أبي الحسن السهارةفوري - شارح الحماسة وأستاذ اللغة العربية في كلية العلوم الشرقية بـلاهور - فبرع في الأدب العربية، وفاق أقرانه في الشعر والإنشاء. قرأ دواوين الجاهلية كلها، وحل عقد معضلاتها، وقصص شواردها فكان يقرض القصائد على منوال الجاهليين، ويكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصائحهم.

ثم عرج على اللغة الانجليزية - وهو ابن عشرين سنة - ودخل في كلية عليكره الإسلامية، ونال بعد سنين شهادة B A من جامعة الله آباد، وامتاز في الفلسفة الحديثة، أخذها من الأستاذ بكلية عليكره الإسلامية يومئذ - ... كان الفراهي عالماً بالعلوم العربية والدينية، وفاضلاً في العلوم العصرية والإنكليزية، ثم عين معلماً للعلوم العربية، بمدرسة الإسلام بـكراتشي عاصمة السند، فدرس فيها سنين، وكتب وألف وقرض وأنشد.

ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه، والنظر فيه من كل جهة. وجمع علومه من كل مكان، ففضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكب على أخذ ما فات العلماء، ولف ما نشره، ولم ما شئتوه، وتحقيق ما لم يحققه، فكان لسانه ينبع علماً بالقرآن، وصدره يتدفق بحثاً عن مشكلاته، وقلمه يجري كشفاً عن معضلاته

أما المناصب التي شغلها: فقد عين أستاذ للغة العربية بكلية عليكره الإسلامية، وكان بها يومئذ أستاذ اللغة العربية المستشرق الألماني الشهير يوسف هارويز، الذي استكمل العربية من الفراهي. وقرأ عليه الفراهي العبرية.

ثم عين أستاذاً بجامعة الله آباد، وبقي فيها أعواماً حتى انتقل منها إلى حيدر آباد الدكن، رئيساً لمدرسة دار العلوم النظامية، التي كانت تخرج قضاة البلاد وولاتها. وهو الذي عمل على تأسيس الجامعة العثمانية، والتي كانت من أحدث جامعات العالم سناً، وأعجبها نظاماً.

ثم استقال ولزم بيته، وانقطع إلى العلم، وكان قد أسس قرب قريته مدرسة عربية دينية، سميت «مدرسة الإصلاح» فكان ينظر في شؤونها، وكان من أعظم مقاصدها وأهدافها تحسين طريق تعليم العربية، وإيجاز قائمة دروسها المتعبة العقيمة، وإلغاء العلوم البالية القديمة، والعكوف على طلب علوم القرآن والبحث عن معانيه ونظمه، وأحكامه وحكمه.

كما كان رئيساً للجنة المديرين «لدار المصنفين» التي كان أحد مؤسسيها. كتبه ومؤلفاته فكثيرة متعددة، ومعظمها باللغة العربية التي شغف بها المؤلف، وأثرها على لغته الأصلية، وحينما سئل عن سبب كتابته بالعربية مع حاجة قومه إلى الكتابة بالأردية قال: «أردت لكتبي الخلود» (فرحات).

المطلب الثاني: تعريف جمهرة البلاغة للإمام الفراهي.

تحدث الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة عن آرائه ونظرياته البلاغية، ووضع أصول جديدة في ضوء القرآن وأساليب البلغاء وفصاحتهم لفهم بلاغة القرآن.

والفراهي مع تقديره واحترامه للجهود التي بذلها البلاغيون لوضع أصول البلاغة العربية، يرى أن هذه الأصول معظمها مأخوذة من كلام اليونان الذي دخل العربية بواسطة التراجم. ولذلك لا يمكن فهم محاسن أسلوب القرآن ومزايا كلام العرب البلاغية بهذه الأصول، لأن كل شعب له أسلوب خاص في التعبير، والعرب كانوا أرقى الأمم في أساليب كلامهم. ولذلك كان على البلاغيين أن يأخذوا أصولاً للبلاغة لشعر العرب وخطبهم لا من كلام اليونان، فيقول الإمام الفراهي بهذا الصدد: "كما أن علماء الإسلام أقبلوا على هذا الفن لأجل كشف إعجاز القرآن، فلو أنهم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه وقيدها بالحدود نظمها بترتيب حتى يصير له ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام. ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته - أي إعجاز القرآن - ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم فإِنَّهم أثرت فيهم علوم العجم كما خالطتهم سجاياهم إلا الأولين منهم كالجاحظ فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل

الإعجاز، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب الخالص. فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة" (الفراهي، صفحة 9).

ويثبت الإمام الفراهي بعد ذلك أن من أخذوا أصول البلاغة من اليونان أنهم قد تجاهلوا أن العرب كما كانوا على نزوة من البلاغة. فكذاك يملكون ملكة التمييز بين محاسن الكلام ومساوئه فيقول: "إنهم كانوا يُباهون ببراعة الكلام، ويحكمون بينهم من كان أبصرهم بنقده، والأخبار في ذلك كثيرة حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة. فكان خطيبهم يأخذ بزمام القوم ويقودهم إلى حيث شاء ويقوم ساعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري فوقهم في هذه الصناعة على سنة فيهم" (الفراهي، صفحة 9).

ثم يقول "لو التزم البلاغيون كلام العرب ولم يلتفتوا إلى أصول مَهْدَهَا المبدعون، لكان خيراً لهم، وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق، وإن لم يكونوا من طريق الصناعة" (الفراهي، صفحة 9).

ويستطرد الإمام الفراهي فيوجب على العلماء البلاغيين أن يضعوا صورة فنية دقيقة ثم يحكموا على الشيء بالحسن والقبیح. وذلك لا يتأتى عنده إلا أن يقرؤوا جميع أدب الأقسام ويقارنوا بينها. والشيء المهم بهذا الصدد هو أن لا يأخذوا الأصول من لغة ويفرضوها على لغة أخرى، بل لكل لغة ميزة خاصة لابد من النظر فيها ومعرفة.

ثم يخوض الإمام الفراهي في أخطر مشكلة أدبية وهي مشكلة الصدق والكذب في الشعر. فكثير من النقاد قد تكلموا عن الفن كأنه وسيلة لجلب اللذة الجسمانية وإثارة الغرائز البهيمية. ولذلك نراهم يتهمون للصياغة والأسلوب ولا يعطون أي حظ من عنايتهم للمعاني وهذا المسلك خطير للإنسانية، لأن الفن ليس مجرد وسيلة للذة ولا إشباع جوع النفس، بل هو وسيلة لنشر القيم الأخلاقية والتعاليم النبيلة بأسلوب ممتع جذاب. فالإمام الفراهي حينما يتكلم عن البلاغة أو الأدب فهو يتكلم كأديب مؤمن وناقد مسلم تقي يجعل نصب عينه القيم الأخلاقية والمعاني السامية التي هدف إليها القرآن الكريم.

يقول مبيناً قصده: "إن الكلام لا يبلغ قلب العاقل إلا أن يكون معناه شريفاً، ولا اعتبار لتأثر الحمقى والأشرار. فإننا إنما نُعطي الأشياء أسماءً لحاظاً إلى سلامة الحال، وإلا لزمك أن تسمي الكلام حسناً وقبيحاً معاً، أو لا تسميه شيئاً. وهذا أمر يتضح لك كل الاتضاح إذا بحثنا عن أسباب بلوغ المعاني القلوب، فتري أن الألفاظ ربما تُصرف عن قواعدها الصحيحة العامة لأجل المعنى الذي يبلغ نفسه بقوة فيه ويجد الألفاظ حجاباً وثقلاً عليه، كما أن ملكاً جعل نفسه سفيراً. فالبلغ هو المعنى واللفظ مركبه، فالمعنى أجدر باللاحاظ في حسن الكلام" (الفراهي، صفحة 15). وهنا يؤيد الإمام الفراهي قوله بكلام شاعر أصيل عربي وهو زهير بن أبي سلمى الذي يقول:

وذي نعمة تَمَمَّتْهَا وشكرتْها ** وخصم، يكاد يَغْلِبُ الحقَّ باطله
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ صَائِبَ ** إذا ما أضلَّ، القائلين، مفاصله

وذي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ ** مَصِيبٌ فَمَا يَلْمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ (أبي سلمى، صفحة 54)

ثم يقول: "إن حسن الكلام ليس في محض كونه محاكاةً بل في إبلاغ المعاني من المتكلم، وإن غاية ليست إطراب السامع بل كونه سفيراً صادقاً للعقل، وإن التلذذ بها ليس لكون المحاكاة داخلية في عنصر الإنسان، بل لأن فيه استعمالاً رفع قواه، وأن ليست المحاكاة بل النطق من خصائص الإنسان، وأن الصدق يلزم المخبر فإن خالطه الكذب أحبطه عن درجته، وأن سوء المعنى يمحو عنه اسم البلاغة" (الفراهي، صفحة 17).

والإمام الفراهي ليس وحيداً في هذا المضمار بل اشتهر شعراء العرب وأدباؤهم معه. والحقيقة أن الشاعر يصور ويحكي ما يجد في قلبه ويحس، ولا يحكي مما يحسه الناس. فهو في تصويره وحكاياته صادق ولا كاذب كما زعم الناقد. وهذا باب عال لم يبلغ كنهه إلا القليل. فلما رأى الناقد أن الشاعر يقول خلاف ما يجده الناس، فمثلاً يصور الليل بأنه طويل رغم أنه قصير لأنه يشعر بالآلم وفي حالة الآلم يشعر الإنسان بأنه عجلة الزمان واقفة، وهكذا جميع الأمور فزعموا أنه كاذب، وهذا خطأ شنيع فاحش. ومن ثم لابد لنا أن نعرف بأن في مثل هذه الحالات يريد الشاعر أن يثير في الناس الإحساس الذي في قلبه لا يبعدهم عن حقيقة الأشياء، لأن الشاعر يعرف حق المعرفة بأن الناس لا يحسنون إحساسه ولا يشعرون شعوره، ولكنه لا يصرح بهذا بل يأخذ بأسلوب الكناية والتشبيه والاستعارة والمجاز، وما إلى ذلك من أنواع البلاغة، لكي يصحبه الناس في الشعور والإحساس، وتثور في قلوبهم العواطف التي في قلبه، فلا يصح لنا أن نقول "إن أحسن الشعر أكذبه"، لأننا نرى الشاعر يقول خلاف الموجود العام، بل ترى بعين الشاعر حتى تستطيع أن تفرق بين الإحساس والكذب. وفي جمهرة البلاغة فوائد جمعة وآراء ومواقف وإبداعات للإمام الفراهي.

المبحث الثاني: منهج الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة.

السبب في تأليفه جمهرة البلاغة إنه أراد بتأليفه الكشف عن بلاغة الوحي الرباني لاسيما القرآن الكريم كما يقول في خطبته الكتاب: "فوجب علينا أن نعرف أسرار البيان وفصائله كما وجب علينا أن نعرف إعجاز القرآن ودلائله لنستكمل من فطرتنا عنصرها ونستسقي من عيون الوحي كوثرها" (الفراهي).

المطلب الأول: منهج الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة

أما منهج الإمام الفراهي في جمهرة البلاغة فهو منهج نقد، فقد انتقد فيه البلاغيين، ومن ذلك النقد يعطينا فهماً جديداً لعلم البلاغة. يقول عن علم البيان بأنه "كالظل والأثر للنطق الذي هو مقوم للإنسان، كما أن النطق ظل من الوحي الأعلى وكلمة الله العليا. فالبحت عن أوليات علم البيان يجلبنا إلى الحكمة الإلهية" (الفراهي، صفحة 6). وقال إنه بهذا التفريق بين "تعاطينا العلوم لا سيما هذا العلم وبين تعرض الأمم الأخرى له، فإنهم نظروا إليه من نظر دنيوي فنالتهم غوائلها، وأبعدهم عن الحق باطلها، فتراكمت عليهم فتراكمت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض" (الفراهي، صفحة 6). ويعلل الفراهي الاختلاف في تعيين الكلام الحسن والقيح، فقال: "على الرغم من أن الناس اتفقوا على أن في الكلام حسناً وقيحاً، وعالياً وسافلاً" ولكنهم "اختلفوا على تعيين موضع الحسن وتفضيل بعض الكلام على بعض، حتى أن أبصر الناس بالنقد يخالف من هو ليس دونه، وهكذا العادة في كل لذيذ مرغوب؛ لأن أكثر الأشياء المستحسنة غير بسيطة، وأسباب الحسن فيه غير واحد" (الفراهي، صفحة 6).

المطلب الثاني: رأي العلماء والباحثين عن جمهرة البلاغة.

- أولاً: العلامة شبلي النعماني: ".... هذه هي مباحث الكتاب والكاتب يعرف جيداً ما كُتِبَ عن بلاغة القرآن ولكنه يظن أن كلها غير تامة في الموضوع. وما قام به القدامى من ترتيب فن البلاغة ناقص كذلك، ولذا فقد اعتنى الكاتب بهذا الفن ورتبه في نطاق واسع ووضع أصولاً عديدة لم يكن بها عهد لفن البلاغة وهكذا فألف كتاباً مستقلاً سماه "جمهرة البلاغة" (النعماني، 1905)

- ثانياً: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي: ".... قام الأستاذ الفراهي بتأليف كتاب جديد في فن البلاغة فغيّر ترتيب هذا الفن وجاء بالعديد من الأصول الجديدة التي يمكن أن تثبت مستوى صادقاً لتقدير بلاغة القرآن" (الإصلاحي، 1937).

ويقول في موضع آخر: "جمهرة البلاغة كتاب فاق النظير للفراهي في فن بلاغة القرآن" (الإصلاحي، 1938).
- ثالثاً: العلامة أبو الحسن الندوي: "لما فرض إليّ مهمة تدريس القرآن الكريم في دار العلوم ببنو العلماء قرأت مؤلفات الشيخ عبد الحميد الفراهي بامعان وجدية وجهد بالغ واستفدت منها قدر المستطاع، ولما وُجِّهْتُ إلى الدعوة من قبل جامعة دمشق في 1956م حملت معي كتب الشيخ الفراهي لاسيما "جمهرة البلاغة" الذي تأثرت به كثيراً كطالب الأدب العربي وتاريخه، وكباحث لهما ومفكر فيهما" (الندوي)

ويقول في مكان من خطابه هذا: "من أعماله الجليلة "جمهرة البلاغة" لو قام أحد بتحقيقه وتقديمه بأسلوب علمي جديد لثبت تفرد الشيخ الفراهي في هذا المجال فلقد قام الشيخ بإعداده لذوقه السليم للأدب العربي والقرآن الكريم" (الندوي، علامه حميد الدين فراهي- حيات وأفكار).

- رابعاً: الدكتور شرف الدين الإصلاحي: "لو أتم العلامة الفراهي هذا الكتاب على المستوى الذي بدأ به لكان كتابه هذا من كتب العالم العظيمة لسبب أفكاره ونظرياته البديعة" ويستطرد قائلاً: "إن هذا الكتاب يحتوي على مجموعة كبيرة للمسائل الدقيقة والنكت اللطيفة" (الإصلاحي ش.).

- خامساً: البروفيسور محمد راشد الندوي: "كان العلامة الفراهي ولعاً كلياً بالقرآن الكريم، ألف عديداً من الرسائل في علوم القرآن يضمنها إعجاز القرآن الحكيم. كتابه "جمهرة البلاغة" مثال رائع لجهده في هذا الفن. ولقد مارس العلامة الفراهي كلام العرب الجاهلي كما أمعن النظر فيما ألف من كتب النقد والبلاغة حتى عصره. كان العلامة يشعر تماماً بفصاحة القرآن وبلاغته لتضلعه من اللغة العربية، ولقد درس جيداً كلام العرب الجاهلي والقرآن الكريم ومؤلفات علماء النقد والبلاغة" (الإصلاحي ش.، صفحة 538)

ويميضي قائلاً: "ما ذكره العلامة من أصول النقد والبلاغة في كتابه الموجز هذا هي عصارة نظرياته الأدبية والنقدية، أسلوبه موجز للغاية بل لو كان هناك كلمة أخرى لما هو أوجز من الإيجاز للتعبير عن إيجاز كتاباته لاستخدمناها وربما يكتفي العلامة بالإشارة إلى قضية مهمة للغاية والحال أنها تقتضي التوضيح. لعله ظن حين تأليف كتبه أن قارئها أحد عقلاً كمثلها" (الإصلاحي ش.، صفحة 542).

ويقول كذلك: "وفي رأيي المتواضع أن هذا الكتاب فريد من نوعه في الموضوع باللغة العربية وهو ليس مفخرة للعلامة الفراهي فحسب بل لعلماء شبه القارة أجمعين" (الإصلاحي ش.، صفحة 546)

- سادساً: الدكتور أحمد مطلوب بعد دراسة هذا الكتاب في أكثر من عشرين صفحة: "هذه جولة في كتاب فريد من نوعه ألفه مسلم في الشرق الإسلامي، ولم يصل إلى البلاد العربية ليكون صورة من صور الدرس البلاغي في القرن العشرين للميلاد" (مطلوب، بلا تاريخ).

- سابعاً: الدكتور صالح سعيد الزهراني في مقالته الطويلة عن هذا الكتاب: "كتاب جمهرة البلاغة يمثل رافداً من روافد التفكير البلاغي الحديث" ويقول في نهاية دراسته لهذا الكتاب: "كتاب جمهرة البلاغة يمثل إضافة نوعية للتفكير البلاغي في العصر الحديث لكونه رؤية خاصة للبلاغة العربية في الإبداع وسياسة القول، وقراءة واعية لأصول البلاغة العربية كما تجلّت في البيان المعجز وكلام سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه، وأدب العرب الخالص، ورؤية ناقدة لتحولات البلاغة العربية إبداعاً وسياسة للنص عقب مثاقفتها مع الفلسفة اليونانية، وبخاصة فلسفة أرسطو، التي كان لها أكبر الأثر في رؤي البلاغيين والشعراء المجددين في العصر العباسي" (الزهراني، بلا تاريخ).

- ثامناً: الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي: "جمهرة البلاغة الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسططاليس، وهو نظرية المحاكاة، ويرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته، ودعا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح" (الفراهي الهندي، 2002).

المبحث الثالث: تأثير بلاغة العجم على بلاغة العرب، ومفهوم بلاغة العرب عند الإمام الفراهي. الفراهي يمدح العرب وقواهم وسجاياهم: ولقد وجدنا الفراهي يمدح العرب كثيراً في معظم مؤلفاته لاسيما في جمهرة البلاغة الوجيز فهو يشير إلى براعتهم وحذاقتهم في تسمية الشيء.

المطلب الأول: تأثير بلاغة العجم على بلاغة العرب. المراد بالعجم عند الفراهي، هم قوم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه، وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب حتى لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز، والذين كانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم فإنهم أثرت فيهم علوم العجم كما خالطتهم سجاياهم، إلا الأولين منهم كالجاحظ فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسة بكلام العرب الخالص. فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة واعترف بفضلهم على الملدن، وقال بقول الجاحظ: "لم أجد في خطب السلف الطيب، والأعراب الأقحاح ألفاظاً منحولة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً ردياً، ولا قولاً مستكراً، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكفين ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التحيز والتفكر". (الجاحظ، 1968، صفحة 217). فلما تركوا منهج كلام العرب صار أهم شيء عندهم البديع ومطمح نظرهم التشبيه، وعند الأول أولهما منكر، والثاني غير مهم لذاته" (الفراهي، صفحة 8). وهو نقد لمنهج اليوناني ثم الذين اتبعوا منهجهم.

المطلب الثاني: مفهوم بلاغة العرب عند الإمام الفراهي

يفرق الإمام الفراهي بين بلاغة العرب والعجم فهو يقول عن بلاغة العرب بأن العرب قد وهبهم الله البلاغة، منحهم القدرة على هذا الفن، "حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة، فكان خطيبهم يأخذ بزمام القوم فيقودهم إلى حيث شاء، ويقوم شاعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء، فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري ذوقهم في هذه الصناعة على سنة وأصول معلومة، وإلا كيف يقضي فيهم حكمهم، أم كيف يدعن لحكمه أرباب العقل فيهم". (الفراهي) ويقول عن ذكاء العرب: "إنهم كانوا أذكى الأمم وأسرعهم إحساساً، وأشدهم عاطفة، وكانوا أولى بالشعر من النثر أهملوا فيه كل ما يناسب الشعر حتى القافية. ورب خطبة جاءت منهم نظاماً فليس للعجمي أن يفهم نثرهم من غير أن ينظر فيه كأنه نظم مع كل ما يختص بنظم العرب خلا الوزن. وليس له أن يمدحه أو يذمه إلا بعد هذه المراعاة. ثم ليس نظمهم كنظم سائر الأمم، رب أمة نظمهم كنثر حقيقي كما أن نثر العرب كنظم حقيقي" (الفراهي).

بلغ الفراهي مبلغه في تفضيل العرب على سواهم في الذكاء، وسرعة الإحساس، وشدة العاطفة. بهذا لا يريد أن يقول بتفضيل "عرق" على غيره، فالذكاء، والأحاسيس غرائز فطر عليها الإنسان، فهي تولد مع الإنسان أيّاً كان جنسه، بل أراد أن ينتقد البلاغيين الذين اتبعوا أرسطو في قواعد البلاغة. وهذا مما سماه الفراهي ببلاغة العجم.

المبحث الرابع: أرسطو ونظرية المحاكاة والشعر والنثر البليغ عند الإمام الفراهي.

وهذا جر الفراهي إلى نقد نظرية المحاكاة التي نادى بها أرسطو، وقال: "فلو قال: إن الشعر بل كل كلام ونغم جنسه الأعلى تصوير لكان أقرب، إذ ليس بين المحاكاة والتصوير إلا فرق يسير، ولكنه أبعد عن الصواب خطؤه في غاية الشعر ومادته ومبدئه.

المطلب الأول: أرسطو ونظرية المحاكاة عند الإمام الفراهي.

وكان مثار خطئه كلام قومه واستعمالهم إياه. ولو بحث عن أمر الشعر على طريق الفلسفة، ونظر فيه من جهة العلل التي ألح على البحث عنها فيما بعد الطبيعة وردّ فيه على الحكماء الأقدمين لم يخف عليه الصواب بعد الاقتراب ولم يلتبس عليه غاية الشعر" وذلك لأن أرسطو يزعم مرة أنها الأثر والإطراب، ويزعم تارة أخرى أنها القصة، ولعل سبب ذلك أن "كتابه على الشعر بداية ريعان حكمته" ورأى أن الأولى الصفح عن باطله لولا أن العلماء المسلمين حينما ألفوا في البلاغة أذعنوا له فيما مَهَّدَه. ولو نظر الرجل في كلام العرب لأصاب الحق، ولكنه "نظر في كلام قومه فبنى فن نقد الشعر حسب ما وجد في أحسن كلامهم" الذي كان الشعر منه قصصاً وحكايات مكذوبة مثل نظم هومروس وسوفاكليس وغيرهما، فأمعن فيها لاستنباط أصول النقد ومناط المحاسن "وهذا هو الطريق فإن المحاسن توجد أولاً، ثم أهل النظر يستخرجون منها الأصول" أي أن أصول البلاغة والنقد تُستنبط من الكلام الذي يُدرس لا كلام لغة أخرى، وهذا ما جعل أرسطو

يستنبط تلك الأصول لأنه رأى غالب صفة الكلام المستحسن عند اليونان قصة وحكاية عن الوقائع، ودفعه إلى ذلك أمران (الفراهي، صفحة 10):

- الأول: أنَّ الإنسان حاكية بالطبع أكثر من سائر الحيوان، فهذه الصفة أنسب بطبعه، وأحبها إليه.
 - الثاني: أنَّ العلم مرغوب بالطبع، وحكاية الشيء تُخبر عن المحكي عنه، فلذلك هي محبوبة.
- ولهذا تَمَسَّكَ أرسطو بالمحاكاة وتعصَّب لها، ورَدَّ كل امرئ رأى خلافه، ولما كان جل أشعار اليونان "للتلذذ والتلهي في محافل المسامرة ونادي اللهو بحكايات مضحكة أو مبكية، لم يجد لمحاسن الأشعار غاية إلا الإطراب فقال: إن يكن الصدق لا يطرب فينبغي للشاعر أن يزيد أو ينقص. ولم يكن في هذا الرأي بُدْعاً في قومه فإنه ظن كما ظنوا فإن اسم الشاعر عندهم (المخترق) الذي يصنع الحكايات والقصص لإطراب السامعين".
- ولما رأى البلاغيون العرب أنَّ أرسطو أسَّس الأمر على مهارة الاختلاق "سبق إلى ظن بعضهم أنَّ أحسن الشعر أكذبه، وإذ ليس في أشعار العرب من أمر القصة والحكاية إلا التشبيه ظنوا أنَّ الغلو في التشبيه من المحاسن. وكما أن المحاكاة صارت عمود الرجاحة عند أرسطو فكذلك صار التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة عندهم قطب البلاغة. ثم أنهم وافقوه في عين هذا الرأي فإنه قال في محاسن الكلام: "إنَّ أعلى كمال البليغ أنَّ يكون حاذقاً في استعمال التشبيه" وقال صاحب (أسرار البلاغة): "كان جلَّ محاسن الكلام إنَّ لم نقل كلها متفرعة عنها أنواع التشبيه وراجعة إليها". وأدَّى هذا القول إلى أن "المتكلمين من المولدين عكفوا عليه، فغاب عنهم ما كان للعرب من سحر الكلام وإعجازه" ونظروا إلى الاستعارة التي هي مبالغة في التشبيه هذه النظرة "فغلب على ظنهم أنَّ الحسن أميل إلى الكذب" واستدرك الفراهي قائلاً: "وإنَّ لا تُنكر محاسن التشبيه وأنواعه، ولكننا نجعله متفرعاً عن أصل غير التشبيه، وأساسه الصدق، خلاف ما سمعت من مذهب أرسطو وأمثاله" (الفراهي، صفحة 11).

لقد ذهب الفراهي بعيداً في هذا التصور؛ لأنَّ العرب لم يأخذوا مفهوم التشبيه والاستعارة من نظرية المحاكاة التي قال بها أرسطو، إذ هذان الفنان معروفاً الأهمية في كلام العرب، ولا سيما التشبيه الذي قال عنه المبرد: "والتشبيه جارٍ كثير في الكلام - أعني كلام العرب - حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد"، وتكلم عليه، وأشار إلى أنواعه، وإلى ما يحسن منه، وما لا يحسن في عدة مواضع من كتابه. ومثل ذلك الاستعارة التي لم يكن مفهومها بعيداً عن مدارك العرب، بل إنَّ غرابية التَّصور والخيال من محاسن أشعار العرب، ألم يستحسن حسان بن ثابت عبارة ابنه في التشبيه قبل أن يُؤلف العرب في البلاغة، ويطلعوا على كتابي "الشعر" و"الخطابة" لأرسطو، فقد رجع عبد الرحمن إلى أبيه حسان يبكي ويقول: "لسعني طائر" فقال حسان: "صِفْهُ يا بُنَيَّ" فقال: "كأنه ملتف في بردي حبرة" وكان قد لَسَعَهُ زنور، فقال حسان: "قال ابني الشعر وربَّ الكعبة". أليس في هذا ما يدل على بُعْدَ الخيال والاستعداد لقول الشعر والتصوير؟ فالغلو في التَّصوير مذهب معروف في الشعر العربي القديم، وإنَّ التصوير البعيد ليس غريباً، وهو ليس كذباً، وإنَّ كان بعضهم يميل إلى عرض الحقيقة كما هي، وقال إنَّ "أحسن الشعر أصدق" (الفراهي، صفحة 12).

ويعود الفراهي إلى المحاكاة ويرجعها إلى النطق لأنَّ "الإنسان في فطرته ناطق" ولذلك "فإنَّ النطق هو الفصل المَقوم له لا المحاكاة كما زعم أرسطو" وكان قد قال في أول الكتاب: "إنَّ البيان كالظل والأثر للنطق الذي هو مَقوم للإنسان والنطق "مُودَع في فطرته - أي الطفل - وكل قوة تلتبس الوسيلة للعمل". ويمضي الفراهي في إيضاح ذلك مؤكداً فهمه ورأيه في المحاكاة، وربط البيان بالنطق الذي هو "زهرة تخرج من كمال الفهم وصلاح البنية" ولو "لم يكن النطق في الإنسان لما استطاع المحاكاة"، وقوة النطق هي العلة الفاعلية وأما "المعاني ثم الألفاظ فهما المادة، فالنطق يأخذ المعاني ويلبسها ألفاظاً سواء مما ابتدعها، أو مما تعلمها الإنسان بوسيلة المحاكاة" (الفراهي، صفحة 13).

هذا موقف الفراهي من المحاكاة التي شغلت أرسطو والفلاسفة المسلمين والمعاصرين، وهو رأي ينبثق من فهمه للكلام الذي لا يريده تقليداً أو محاكاة للواقع لنلا يؤخذ الطيب والخبيث، وهو ما لا يؤمن به من يربط الكلام عامة والشعر خاصة بالأخلاق. ويتضح هذا في قوله: "اعلم أنَّ حسن البلاغ وكماله يحتوي حسن ما يبلغه من الصُّور والمعاني وهو أولى بالاحاط فلا نقيم وزناً لكلام أبلغ بكمال الصحة شيئاً خبيثاً من نفس متدنية، فالخُرسُ أحسن من هذا النطق. وهذا رأي يستدعي بياناً لصحته، فإنَّ أبا جعفر قدامة صاحب (نقد الشعر) وهو أول مَنْ جعله فناً من العلوم قال قولاً يضل به الغافل وإن كان له وجه صحيح، فقال: "ليس فحاشة المعنى في نفسه مما يُزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته" وقال أيضاً: إنَّ الشاعر ليس يوصف بأنَّ يكون صادقاً، بل إنما يُراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كأنما ما كان أن يجيده في وقته الحاضر" فلم يرد من الشعر إلا شيئاً نازلاً وصناعة دنية... ونحن نلتمس محاسن الكلام كما يليق به وكما وضعته الفطرة الإلهية، ويتقضي كمال قوة النطق، ويستعمله الشاعر أو الخطيب الجديد بهذا الاسم" (الفراهي، صفحة 14).

والشعر عند الفراهي قسم من أقسام الكلام "والكلام ليس اسماً للجرس المحض، بل هو شيء مركَّب من المعنى والصوت، والشيء المركَّب يحكم بحسبه لحاظاً إلى أصل الأمر فيه" أي أنَّ النظرة يجب أن تكون كلية، وأنَّ يُحكم على الكلام مجموعاً، ولا يكون حسناً إذا اختلَّ جانب من جوانبه أو سقط ركن من أركانه، ويضرب مثلاً فيقول: "إنَّك لا تصف بالملاحظة وجه أعور أفتس إذا وجت إحدى عينيه مليحة، فكذلك الأمر في حسن الكلام. نعم إنَّ شئت قلت: إنَّ وزن هذا الشعر أو صوته حسن، ثم نُؤرِّر هذا الرأي بأمر أقرب إلى الكلام من جهة الإبداع، وهو أن الكلام لا يبلغ قلب العاقل إلا أن يكون معناه شريفاً، ولا اعتبار لتأثير الحمقى والأشرار، فإنَّنا إنما نُعطي الأشياء أسماءً لحاظاً إلى سلامة الحال، وإلا

لزمك أن تسمي الكلام حسناً وقيحاً معاً، أو لا تسميه شيئاً. وهذا أمر يتضح لك كل الاتضاح إذا بحثنا عن أسباب بلوغ المعاني القلوب، فترى أنَّ الألفاظ ربما تُصرف عن قواعد الصحة العامة لأجل المعنى الذي يبلغ نفسه بقوة فيه ويجد الألفاظ حجاباً وثقلاً عليه، كما أن ملكاً جعل نفسه سفيراً. فالبلغ هو المعنى واللفظ مركبه، فالمعنى أجدر باللاحظ في حسن الكلام. فذلك برهانهان ثم نعرزهما بثالث، وهو أنَّ العرب لم يحدوا الكلام إلا لحسن معناه، وليس لهم نزوع إلى قول أدى الخبث فإنهم يذمونه ويحتقرونه. (الفراحي، صفحة 15).

المطلب الثاني: النثر البليغ عند الإمام الفراهي

يُفرّق الفراهي بين الشعر والنثر البليغ، وذكر أنَّ أول من أخطأ في عدم التمييز بين الشعر والنثر البليغ أرسطو وآخر هو (جان مل). وأرسطو أشنع قولاً فإنه ظن "أن للمحاكاة طرقات شتى. وفي الكلام وسيلة لمحاكاة ثلاث: وزن، وألفاظ، ونغمة، فهذه محاكاة فرادى ومتنى وبأجمعها. ثم ظن أن المحاكاة هي الشعر، ومحاكاة معالي الأمور هي التي تسمى ابوبيه (EPOPEE) القسم الذي اختاره هومروس فقال: إنَّ ابوبيه تُحاكي بوسيلة الألفاظ وحدها كمكالمة سقراط، أو بوسيلة الألفاظ مع النظم كنظم فلان وفلان. ثم قال: إنَّ العادة علفت الوزن بالشعر، ولكن الذين نظموا كتباً في الطب أولى باسم الطبيب منهم باسم الشاعر. وإنه أصاب فيما قال: إن مجرد الوزن لا يتم به الشعر، ولكن العلة ليست أنَّ الوزن ليس من أجزاء الشعر بل لأن الكل لا يوجد بمجرد أن يوجد منه جزء، فجعل كلام هومروس وسقراط شيئاً واحداً، وزعم علاقة الوزن بالشعر نشأت من العادة. وأما (جان مل) فقارب الإصابة فيما فهم أنَّ الشعر هيجان، والشاعر يخاطب نفسه، فأمن بهذا الظن تخليطاً بين الشاعر والخطيب أو الحكيم، فلا يكاد يُعدّ كلام سقراط من الشعر، ولكنه أوضح قولاً من أرسطو بأن الوزن أمر زائد على الشعر" (الفراهي، صفحة 20).

ويتحدث عن الصوت وقال إنَّ له "دلالة على بعض المعاني لمناسبة بينهما، وما من لغة إلا وفيه آيات على ذلك، وأما لغة العرب فالدلالة فيها أكثر وأبين من أن ينكره منكر. وأعجب من صاحب (دلائل الأعجاز) كيف غمض عينه عن هذا الأمر، وردَّ على العلماء الذين جعلوا للفظ حظاً في مزية الكلام من جهة صوته" (الفراهي، صفحة 22). وبعد ذكر الفراهي التفصيل في هذه المسألة، عاد إلى عبدالقاهر وقال: "والعجب كل العجب كيف غلب الوهم على صاحب (دلائل الإعجاز) فزعم أنَّ المتكلم لا يعنيه إلا المعنى، ولا همَّ له في الألفاظ من جهة جواهرها، وخالف جمهور العلماء" (الفراهي، صفحة 23).

وكذلك تحدث عن الوضاحة من جهة اختيار المعاني، وقال: "إنَّ العرب كما أنَّهم اختاروا للمعاني من الألفاظ ما يكون أحسن تصويراً لها، فكذلك أنَّهم اختاروا لها من المعاني ما يكون أرفق لتوضيحها ورفَّع إبهامها". وذكر أمثلة شعرية كثيرة أيضاً لهذا الموضوع، وقد أكمل المبحث بالكلام على تصوير الشيء بالتشبيه، والاستعارة، والتمثيل، والمجاز وقال: "إنَّ التَّصوير غير محصور في التشبيه وله طرق كثيرة" (الفراهي، صفحة 23).

ثم قال: "إنَّ المثل والتشبيه، والاستعارة، والمجاز تأتي بما يفصح عن صفة من غير جعل الشيء شيئاً آخر، فلا بُدَّ من مغايرة بين المشبه والمشبَّه به، وإلاَّ جملوهما شيئاً واحداً" (الفراهي، صفحة 23). وأوضح دلالة التشبيه بقوله: "اعلم أنَّ الباعث الأول على التشبيه هو حرص الناطق على إظهار ضميره واستعمال قوة النطق بقوة حتى يجعل السامع كأنه قد رأى، وجزَّبت فتأثر به بما يزيده وضاحة وأثراً.

والباعث الثاني أن الناطق لا ينطق لمحض الإظهار ولكن ليؤثر في السامع، ويحركه، ويجلب رغبته أو نفرتة إلى محض السمع ليعجب نفسه والناس بنطقه بالتصوير العجيب الحسن النادر، ويتوسل بذلك إلى أمور آخر من جلب الصيت أو منافع آخر.

والباعث الثالث أنَّه يتوسل بالتشبيه إلى تقرير، أو تحريض من جهتين مختلفتين:

الأولى: أنَّ المثل أشبه بأن يكون كمثله في أمور آخر.

والثانية: أنَّ الأمر العقلي أو الدعوى المجهولة إذا صوّرت محسوسة أسرع الذهن إلى التأثر بها لفطرتها بالتأثر للمحسوس وتعوده بذلك كما ترى الناس يقرأون القصص المكذوبة، ويضحكون، ويبكون، ويفرحون، ويحزنون بها مع علمهم بكذبها (الفراهي، صفحة 23).

وانتهى إلى أنَّ التشبيه "إيضاح، وإعجاب، وتقرير، وتأثير" وجرَّه الكلام على التشبيه إلى نقد عبد القاهر فقال: "إنَّ المؤلدين زعموا أنَّ الندرة والبعد في التشبيه من محاسنه، وقد أسهب الجرجاني -رحمه الله- في إثبات ذلك، وجمع التشبيهات الرديئة، وإنَّ نُورِد عليك منها لكي تعمل فيها ذوقك وتبين سخافتها" (الفراهي، صفحة 24).

أما القسم الثاني: الذي سماه بالخصوصي فقد اتخذ منه منهجاً هو أقرب إلى الذوق وروح الأدب. يقول: "إنَّ سرديت الكلام سرداً ذهبت غافلاً عن بعض المعاني، بل ربما بدَّلت المعنى مثلاً إنَّ لم تقف على كلمة المرسلين في قوله تعالى: "وجاء من أقصى المدينة رجلاً يسئلي، قال: يا قوم اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ" (يس 20-21) غفلت عن قوة الدليل، وأكدت على الأمر كأنك قلت: اتَّبِعُوا اتَّبِعُوا، فهذا مع الغفلة يرد المعنى من الأمرين إلى أمر واحد" (الفراهي، صفحة 25).

لم يذكر الفراهي في هذا المبحث عن الفصل ومواقفه، وإنما ذكر الأيتين الكريميتين اللتين وقع الفصل بينهما حينما أعاد - سبحانه وتعالى- الفصل (اتَّبِعُوا). والجديد في مبحث الفصل والوصل أنَّ الفراهي ربطه بالخيال، يقول: "ثم الفصل يجعل الخيال جسراً بين معنيين، فإن وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما" (الفراهي، صفحة 25). وعقد مبحثاً بعنوان "حظ السامع" وهو رعاية جانب السامع، ومن هذا اللون: الاستفهام لينتبه السامع، والسكوت ليستريح، وبعض الحذف ليصير السامع متكلاً في نفسه فيعمل عقله، ومنبهات الرغبة والنفرة، والالتفات لينتبه بما أحس من تجديد، والتمثيل ليشاهد محسوساً، فينتبه من رفقته، وكل تبدل من الحركات، والالتفات وهيجان الضحك والحزن. فهذه مع فوائده الأخر أسباب لانتباه السامع. وتعرض لمباحث الحذف ومواقفه، وإدراج الدليل، والترتيب في النسق، والمقابلة، والاستثناء، وانتهاز الفرصة، والمجاز، والكناية، والتشبيه، ودلالة المجاز في الأزمنة، ولسان الغيب، والإشارة والتعريض. وهذه من فنون البلاغة التي وجدت سبيلها إلى التأليف، وإن جاء بعضها متأخراً في مسيرة البلاغة العربية (الفراهي، صفحة 25).

وختم الكتاب بمباحث متفرقة هي: صرف الكلام عن سنته، والجملة المعترضة، ووجوه الخطأ في التمييز بين حسن الكلام وقبحه، وروح البلاغة وسرها، وكمال البلاغة والإعجاز، ومناط كلام العرب، وأخلاق العرب (قوى العرب العقلية والكلامية) وارتجال العرب، وصوت الخطب، ومذهب العرب في نقد الكلام، وباب من التمرين في النقد، وباب نقد الكلام، والفواصل والقوافي، وبعض هذا ما لم تبحثه البلاغة العربية. (الفراهي)

تتجلى في هذا الكتاب نزعة الفراهي واتجاهاته في الصور التالية:

1. الاعتزاز بالعرب لأنهم من أذكى الأمم كما يرى.
 2. الاهتمام باللغة العربية ذات الخصائص التي تميزها عن اللغات الأخرى ولا سيما لغة اليونان التي استقى منها أرسطوطاليس مفهوم الشعر والمحاكاة.
 3. تمسكه ببلاغة العرب والعزوف عن بلاغة العجم.
 4. العناية بالأسلوب العربي البليغ.
 5. الاطلاع على أهم كتب البلاغة العربية، وعلى كتب أرسطوطاليس، والشعر العربي.
- وأهم ما تجلى في الكتاب:**

1. تقسيم مباحث البلاغة إلى قسمين: القسم العمومي والقسم الخصوصي، وهو تقسيم جديد لم تألفه البلاغة العربية في تاريخها الطويل.
 2. ربط البلاغة بالنقد، واتخاذها مقياساً في الأحكام النقدية.
 3. وضوح النزعة الأدبية في العرض والتحليل.
 4. إبداء الآراء الخاصة في القضايا المختلفة، ومن ذلك: نقض نظرية المحاكاة لأرسطو، ونقد عبد القاهر الجرجاني، والتمييز بين بلاغة العرب وبلاغة العجم، والفرق بين الشعر والخطابة، وغير ذلك من الآراء المبثوثة في مباحث الكتاب.
 5. إلحاق بعض المباحث العامة المتصلة بالنقد.
 6. وضوح أسلوب الكتاب في العرض والتحليل.
- ومن هنا تأتي أهمية الكتاب، وتأمل ما ورد فيه من مباحث وآراء، يرفد الدرس البلاغي والنقدي، ويضيف ما فيه النفع وإنارة السبيل يوم تلبس البلاغة العربية ثوبها الجديد.

الخاتمة:

بحمد الله تعالى ومنته وتوفيقه أتممت هذا البحث بما يسره الله تعالى لي من جمع وترتيب وتحليل، وتضمن هذا البحث جهود الإمام عبد الحميد الفراهي في اللغة العربية " فإن أساليب البلاغة وخاصة في العبارة القرآنية ومعانيها ودلالاتها المختلفة لا يمكن لمثل هذا البحث استقصاءه، فلقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. إن الفراهي بدراسته العميقة للغة العربية وآدابها وعلومها قد صار عنده حس لغوي عجيب وذوق عربي رفيع كالعب الخالص، ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد غلبت تلك المزايا كلها وهي حب القرآن الكريم الذي كان فوق كل شيء ولن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربياً خالصاً.
2. إن للفراهي معرفة تامة بأساليب الأدب والبلاغة من علم البيان والمعاني والبدیع، واطلاعاً واسعاً على الشعر الجاهلي، ودراية فائقة بتعابير الصحف السماوية والأحاديث والآثار، وتضللاً كاملاً من اللغات الأجنبية والفارسية والعبرية، وقدرة خارقة على الشرح والتحليل والتطبيق، وجرأة نقدية في هدوء وأدب واحترام للمتقدمين.
3. إن الفراهي كان يشعر بحاجة شديدة إلى تأليف مجموعة كتب فريدة جامعة شاملة للدارسين والباحثين.
4. وجملة النتائج أن الفراهي كان جامعاً بين التبحر في العلوم العربية والدينية، والاطلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، ويظهر أثر الثقافة الواسعة العميقة في معظم مؤلفاته.

المصادر والمراجع:

- أبي سلمى، ز. (n.d.). ديوان زهير بن أبي سلمى. ح. طماس (Ed.), بيروت - لبنان: دار المعرفة.
الإصلاحي، أ. أ. (1937). مجلة "الإصلاح" الشهرية. 607-608 ,
الإصلاحي، أ. أ. (1938). مجلة "الإصلاح" الشهرية. 199 ,
الإصلاحي، ش. (n.d.). ذكر فراهي. 575 .
الجاحظ، ع. (1968). البيان والتبيين) ١. عطوي (Ed.), بيروت: دار صعب.
الزهراني، ص. س. (n.d.). aruc.org. Retrieved from س. مقال الزهراني، سياسة البلاغة عند عبد الحميد
الفراهي.
الفراهي الهندي، ع. (2002). مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية) م. الإصلاحي (Ed.), دار الغرب
الإسلامي.
الفراهي، ع. (n.d.). جمهرة البلاغة. المكتبة الشاملة الذهبية.
فرحات، أ. (n.d.). عبد الحميد الفراهي. المكتبة الشاملة.
مطلوب، أ. (n.d.). www.ust.edu. Retrieved from أ. مقال الدكتور أحمد مطلوب، جمهرة البلاغة.
الندوي، أ. (n.d.). علامه حميد الدين فراهي- حيات وأفكار. 21 .
الندوي، أ. (n.d.). علامه حميد الدين فراهي- حيات وأفكار. 28 .
النعماني، ش. (1905). مجلة "الندوة" الشهرية. 2 ,